

قرنق دينق بول نص عن أحد ضحايا قوانين سبتمبر 1983*

يحيى فضل الله**

كان قرنق دينق بول يعمل في أحد أفران العباسية. لم يكن لصاً كان بعيداً جداً عن عالم الجريمة ولكن برغم ذلك استطاعت محكمة "العدالة الناجزة" أن تنجز، وعلى عجل سياسي، بتر كفه اليمنى. علي عجل سياسي، تساقطت أكف وبتر عددا من السيقان وتم صلب الوثائق صباح الخير، وكان الغرض من ذلك هو تثبيت قوانين سبتمبر. فكانت تلك المحاكم التي سميت بالعدالة الناجزة قد أنجزت وتحملت عبء تلك المجازر.

كان قرنق دينق بول يقود دراجة الفرن في ذلك الصباح، وفي منحنى ضيق في أزقة العباسية، لم يستطع أن يتفادى إحدى الموظفين فصدماها بالدراجة. ولسوء حظه لم تكن تلك الموظفة من نوع الموظفين العاديات ولكنها كانت تعمل سكرتيرة لأحد مسئولى العدالة الناجزة - أي أنها من "العاديات ضبحا". فكان أن تم حبس قرنق دينق بول بتهمة السرقة وأنه قد صدم تلك السكرتيرة بنية سرقة حقيبتها وحين تم تقديمه للمحاكمة كانت النقود التي في حقيبته السكرتيرة لا يصل عددها إلى مائة جنيه - كان هذا الرقم هو الحد الذي يقاس عليه المال المسروق كي ينفذ البتر. ولما كان الأمر كذلك، فقد اهتدى ذلك القاضي إلى فكرة جهنمية كي يفقد قرنق دينق بول كفه اليمنى، وكي تكسب القوانين الجديدة وضعية التنفيذ فما كان منه إلا أن أضاف إلى نقود السكرتيرة تلك الناقصة عن الحد ثمن الحقيبة وثمان نظارتها وهكذا أصبح قرنق دينق بول بلا كف يمنى، وكان أن أصبحت أحلامه لا تتعدى رغبته في تحريك أصابع كفه التي أطاح بها ساطور جلادي قوانين سبتمبر.

في الفترة الانتقالية بعد انتفاضة أبريل، جمعنتي ظروف السكن في الموردة مع ذلك الألماني المعروف في أمدرمان وصاحب أستوديو كوش للتصوير الملون بيتر فون، أو بكري كما يحلو لأهل الموردة أن يدعونه، و أحيانا بيتر كوش.

سكنت مع بيتر كوش في حي الموردة خلف السوق ومعى الصديق السمانى لوال والصديق عبد الله حسب الرسول الملقب بالشماسي. ولما كان بيتر كوش مهتما بضحايا قوانين سبتمبر، يجمعهم ويحاول مساعدتهم من خلال علاقاته الواسعة بمنظمات عالمية تهتم بحقوق الإنسان، فكان أن تعرفت وعن قرب حميم علي عدد كبير من المبتورين، وعاشت مشاكلهم، ودونت قصص حياتهم وتفاصيل دقيقة عن وضعهم كمبتورين، ومن ضمنهم كان قرنق دينق بول.

سكن معنا قرنق دينق بول في الموردة بعد أن تخلى عنه قسم الجراحة بمستشفى أمدرمان أثر أزمة حادة في البنج. كان قرنق دينق بول يعاني من طعنة خنجر في الجانب الأيسر من صدره نتج عن مشاجرة في حي السينما بأمدرمان، لم يتعرف قرنق دينق بول علي تلك العوالم إلا بعد عملية البتر.



كان يرقد علي سرير في عنبر الجراحة بمستشفى أدرمان، ويبدو أن المستشفى لم تطق رؤيته كمبتور لذلك تخلت عنه وقذفت به وهو يحمل ورقة صغيرة تقول أن عليه أن يعود إلى المستشفى بعد أن يتوفر البنج كي تجري له عملية جراحية وهكذا كان الجرح الذي في صدره يقترب من أن يكون غرغرينة يستعين عليها بتأوهات وصرخات حادة وكأنه طعن بذلك الخنجر في نفس لحظة تلك الصرخات والتأوهات وهكذا كنا نخرج من البيت ونتركه مع آلامه ونعود ونجده وقد فشلت كل المسكنات والمضادات الحيوية التي تناولها في تخفيف تلك الآلام إلى أن جاء ذلك المساء وكنت، ومعني عبد الله الشماسي، قد عدنا مبكرين لنجد أن قرنق دينق بول ملقي علي الأرض ويبدو أن آلامه قد قذفت به خارج السرير، تفحصناه وكان خارج وعيه تماما. وبعد مجهود، استطعنا أن نعيد إليه وعيه وخرجنا به بعد أن أحضرنا عربة تاكسي إلى عيادة الدكتور علي الفاضلابي بشارع الموردة، والذي كان وقتها مديراً لمستشفى السلاح الطبي بدرجة لواء. استقبلنا اللواء الدكتور وبعد أن أجرى كشوفاته علي قرنق دينق بول خلف الستارة التي خرج منها منزعجا و سألنا عن علاقتنا بالمريض، حدثناه بتفاصيل دقيقة عن قرنق دينق بول وكيف أن عنبر الجراحة بمستشفى أدرمان تخلي عنه وهو في هذه الحالة. لم يملك الدكتور الفاضلابي إلا أن يعلن لنا، وبالانجليزية، أن الجرح قد تطور إلى غرغرينة، تحولت إلى التهاب سرطاني. وبهمة متناهية، وقف ضد ذلك القبح الذي مارسه مستشفى أدرمان، فكتب لنا ورقة تعلن عن استضافة قرنق دينق بول في الدرجة الأولى بقسم الجراحة بالسلاح الطبي لإجراء عملية جراحية عاجلة له وكل ذلك علي مخصصاته كمدير للمستشفى. وكان علينا أن نذهب به إلى السلاح الطبي في صباح الغد.

استقبلنا الدكتور اللواء علي الفاضلابي ومعنا هذا المريض الاستثنائي، قرنق دينق بول، وأشرف بنفسه علي إدخاله إلي حجرة في الدرجة الأولى. وقد أشرف علي العملية بنفسه كجراح واحتاج قرنق دينق بول إلي عملية نقل دم لأنه نزف كثيراً أثناء العملية. وخرجنا نبحث عن متبرعين بالدم من داخل المعهد العالي للموسيقي والمسرح الذي كان وقتها في مباني قصر الشباب والأطفال، وبحثنا وسط الطلاب عن حَمَلَة فصيلة الدم O positive (أو بوسنف)، وشملت حملة التبرع بالدم لقرنق بول دينق عددا من الطلاب إضافة إلى ضيوف المعهد، وكان منهم الشاعر محمد طه القدال والشاعر حميد الذي كان يهمس لنفسه ونحن داخل السلاح الطبي قائلا "او بوسنف"، وذلك بطريقة مد الكلمات، ولأول مرة أعرف أنا في ذلك اليوم أن فصيلة دمي هي نفس الفصيلة.

عصر الجمعة، السماني لوال يركب دراجته ويحمل كيس به فواكه ويتحرك نحو السلاح الطبي وخرجت أنا بعده كي أحق به راجلا. وحين وصلت إلى كوبري خور أبو عنجة، فوجئت بالسماني لوال عائداً من السلاح الطبي ومعه كيس الفواكه، وحين عبرت إلى الجانب الآخر من شارع الموردة، كان السماني لوال يضع رأسه على ميزان الدراجة، وحين رفع رأسه ونظرت في عينيه تلك التي احتلها الدمع، عرفت ما حدث قبل أن يقول لي السماني و بأسى غريب وممتد: قرنق دينق بول مات يا يحيى.

- متين؟

- الساعة اتنين ظهر

- هو وين هسه؟

- في المشرحة



وحين أسرعنا مستغلين عربة تاكسي إلى المشرحة، لم نجد قرنق دينق بول هناك، وقيل لنا أنه قد تم دفنه. هكذا، في زمن ادّعى العدالة الناجزة، تم بتر كِف قرنق دينق بول اليمنى، وفي الزمن الانتقالي، تقذف به مستشفى أدرمان إلى الشارع متخلصاً من عبئه، مضيئة إلى جراحه الخاصة جرحاً سرطانياً خلّفته بإهمالها إياه.

انتقل قرنق دينق بول إلى حيث لا حياة، ولازلت أسمع صوته من خلال شريط التسجيل الذي حكى فيه ما حدث له قائلاً وهو يشير إلى كفه المبتورة:
- أنا يا هو دي بحس بي أصابع بتاع يد مقطوع دة طوالي بتحرك.

* واحد من مجموعة نصوص للمؤلف، تضم شهادات رواها عدد من ضحايا قوانين سبتمبر 1983.

** يحيى فضل الله، فنان مسرحي، كاتب قصصي وشاعر. خريج المعهد العالي للموسيقى والمسرح، تخصص تمثيل وإخراج، 1984. مقيم في كندا، بمدينة هاملتون.

